الجزء الاول المجلد الخامس والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العراقي

ربيع الثاني ١٤٠٤ هـ
كانون الثاني ١٩٨٤ م

العِقْدُ أو نَظْمُ النَّثْر

وأثر الحديث النبوي الشريف فيه

الدكتور محمد جابر فياض

كليه الآداب – جامعة بغداد

المقدمة

حظي الحديث النبوي الشريف بعناية المسلمين قديماً وحديثاً ، حتى صار مجموعة علوم ، لا علماً واحداً . وصار من العسير حصر ما ألف فيه ، وفي رجاله . وصرنا نشير الى هذه المؤلفات بحسب أصنافها ، ككتب الصحاح ، والجوامع ، والمسانيد ، والمعاجم ، والمستدركات والمستخرجات ، والأجزاء وكتب الرجال وما يتصل بها على اختلاف أنواعها .

فعناية المسلمين بسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – القولية والفعلية لا تفوقها غير عنايتهم بكتاب الله سبحانه . فهما مصدر التشريع الإسلامي فيما قَلَّ وجَلَّ من أمور دينهم ودنياهم .

واللغة العربية مدينة لهما بهذا التراث الضخم ، الذي لولاهما ما كانت لتحظى بشيء منه .

وهي مدينة لهما بحياتها وحيويتها ، فما كان لهـا أن تكون –على ما هي عليه – لولاهما ، مع امتداد العصور ، وتقلب الأحوال ، وما عصف بالأمة العربية في أثنائها من عواصف الدهر وعواديه . فهما سر بقائها لحد الآن وسر خلودها فيما يجيء من الحقب والأزمان .

وهي مدينة لهما بما تفرع عنهما من علوم : لغوية ، وبلاغية ونحوية ، وصرفية ، إذ كانا سبباً في نشأة هذه العلوم وتطورها .

فلا غرابة ــ والحالة هذه ــ أن يتركا آثارهما البارزة في منثورها ومنظومها . فالقرآن الكريم كتاب الله المعجز ، وحجته على خلقه ، وهو كتاب العربية الأول ، ومثلها الأعلى بفصاحته وبلاغته ، الذي قال فيه منزله سبحانه : (قل : لَئِن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) [٨٨ الاسراء ١٧] .

وقال فيه الوليد بن المغيرة ــ وهو من ألد خصومه : ــ

(والله ان له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو ، ولا يعلى عليه ، وإنه ليحطم ما تحته .) (١) والحديث النبوي الشريف ــ وان تلاه في البلاغة ــ قول أفصح من نطق بالضاد . ويغنينا في نعته قول الجاحظ :

(. . . وهو الكلام الذي قَلَّ عدد حروفه ، وكثر عدد معانيه ، وجَلَّ عن الصنعة ، ونُزِّهَ عن التكلف . وكان كما قال الله تبارك وتعالى :

قل يا محمد : (وما أنا من المتكلفين) [٨٦ ص ٣٨] .

فكيف وقد عاب التشديق ، وجانب أصحاب التقصيب ، واستعمل المبسوط في موضع البسط ، والمقصور في موضع القصر . وهجر الوحشي ، ورغب عن الهجين السوقي . فلم ينطق إلاّ عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلاّ بكلام قد حُفَّ بالعصمة ، وشيد بالتأييد ، ويُسِّرَ بالتوفيق .

وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة ، وغَشّاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن الأفهام ، وقلة عدد الكلام ، مع استغنائه عن إعادته ، وقلة حاجة السامع الى معاودته .

ولم تسقط له كلمة ، ولا زلّت به قدم ، ولا بارت له حجة ، ولم يقم له خصم ، ولا أفحمه خطيب . بل بذَّ الخطب الطوال بالكلم القصار .

---

(١) المستدرك ــ الحاكم ــ ٢/٥٠٦ــ٥٠٧ .

ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم . ولا يحتج إلا بالصدق ولا يطلب الفلج إلا بالحق . ولا يبطىء ولا يعجل ، ولا يسهب ولا يحصر.

ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ، ولا أقصر لفظاً ، ولا أعدل وزناً . ولا أجمل مذهباً ، ولا اكرم مطلباً ، ولا أحسن موقعاً ، ولا أسهل مخرجاً. ولا أبين فحوى من كلامه صلى الله عليه وسلم .) (٢)

فلا غرابة في أن يغترف الأدب العربي – منظومه ومنثوره – من هذا المعين العذب ، ويعب منه ، ويرتوي بنميره، فتشخص فيه نضارة آثاره ، في شكله ، أو مضمونه ، أو كليهما معا .

ونظم النثر يبرز هذا التأثير بأجلى مظاهره ، لشمونه الشكل والمضمون بكل ما فيهما ، أو يتصل بهما ما سوى الوزن والقافية ، أو في الأصح ما يختلف به عن المنثور .

والحديث الذي نظم من الأحاديث المرفوعة لا الموقوفة ، وناظمه صحابي . فنظمه أسبق من كل ما مثل به البلاغيون لهذا اللون من الوان البديع ، واكثرها انطباقا على ما حَدُّوهُ به . فلم أقف في كلٍّ ما مثلوا به لهذا اللون على ما هو أقدم منه ، ولا على ما يفضله في انطباقه على حَدِّه .

ومن الغريب ألا يمثل به أيٌّ من البلاغيين ، أو يشير اليه . والأغرب صدور هذا النظم عن صحابي لم يكن من الشعراء المشـــهورين آنذاك ويفوت المعنيين بالشعور والشعراء ذكره . كما فات البلاغيين ذكر قصيدته .

وبعد هذا كله فقد استأذن الشاعر رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – في نظمه للحديث . فأذن له.وفي هذا ما فيه من إمكان الافادة منه، في الاستدلال على كيفية رواية الأحاديث المماثلة له ، وحدود التصرف المسموح بها في روايتها .

ومن هذا كله تتضح أهمية موضوع البحث ، وضرورة ذيوعه ونشره .

---

(٢) البيان والتبيين – ٢/١٦–١٨ .

العقد لغة

المادة اللغوية (العين والقاف والدال) تدل على الشدّ والابرام .

قال الخليل – ١٧٥ هـ : (عقدت الحبل عقداً ونحوه فانعقد . والعقدة موضع العقد من النظام ونحوه . . . وعقدُ كل شيء : إبرامه) (٣) .

وقال الأزهري – ٣٧٠ هـ : (العُقود : العهود ، واحدها عَقد ، وهي أوكد العهود . . . قال الاصمعي : العقدة من الأرض : البقعة الكثيرة الشجر . . .

وقال أبو عبيد : العَقِدَة من الرمل، والعَقَدة : المنعقد بعضه على بعض(٤).

وأرجع ابن فارس – ٣٩٥ هـ كل مشتقات المادة اللغوية الى الشدّ قائلاً : (العين والقاف والدال : أصل واحد يدل على شَدٍّ ، وشِدَّةٍ وثوقٍ ، وإليه ترجع فروع الباب كلها .) (٥)

وقال الراغب الاصفهاني – ٥٠٢ هـ : (العَقد : الجمع بين أطراف الشيء، ويستعمل ذلك في الاجسام الصلبة ، كعقد الحبل، وعقد البناء . ثم يستعار ذلك للمعاني ، نحو عقد البيع والعهد وغيرها ... ومنه قيل : لفلان عقيدة وقيل للقلادة : عِقد . والعَقد مصدر استعمل استعمال الاسم فَجُمِع . . .) (٦).

وقال ابن منظور : (العَقْد نقيض الحَلِّ . . . والعقد الخيط ينظم فيه الخرز وجمعه عقود . وقد اعتقد الدّرَّ والخرز وغيره : إذا اتخذ منه عقدا والمعقاد : خيط ينظم فيه خرزات ، وتعلق في عنق الصبي . . .) (٧) .

وقال الفيومي – : (عقدت الحبل عقداً – من باب ضرب – فانعقد . والعقدة ما يمسكه ويوثقه . . . ومعقد الشيء – مثل مجلس – موضع عقده .

---

(٣) العين – ١٤٠/١ .
(٤) التهذيب – ١٩٦/١ .
(٥) المقاييس – ٨٦/٤ .
(٦) المفردات – ٣٤١ .
(٧) اللسان – ٢٩٦/٣ .

وعقد النكاح وغيره إحكامه وإبرامه . والعقد – بالكسر – القلادة ، حتى قيل : العقيدة ما يدين الانسان به . . .) (٨) .

وهكذا جاءت المادة اللغوية دالة على الشدّ والابرام والاحكام والعقد منهما خاصة .

مصطلح العقد وتطوره

أجمع المتحدثون عن عقد الكلام أنه نظمه . فنقل أبو هلال العسكري – ٣٩٤ هـ ما يفيد أنهم كانوا يرون معقود الكلام منظومه ، ومحلوله منثوره ، فقال : (وقال بعضهم : الكتابة نقض الشعر . وقيل للعتابي (٩) : بِمَ قدرت على البلاغة ؟ فقال : بحل معقود الكلام) (١٠) .

ولو لم يكن معقود الكلام معروفاً بهذه الدلالة قبل العتابي لما أجاب بهذه الاجابة . ولكننا لم نقف على من أطلق لفظ المعقود على منظوم الكلام قبله .

ويبدو أن هذا المصطلح لم يلق رواجاً ، حتى بعد أن عرف ، وأشار اليه العتابي ان لم يكن هناك من اشار اليه قبله . فقد آثر المتحدثون عنه دلالته عليه . فقد عدّ الحاتمي (ابو علي محمد بن الحسن بن المظفر – ٣٨٨ هـ) نظم النثر لوناً من الوان السرقة والمحاذاة ، التي خصها بفصل من كتابه . غير أنه لم يذكر لفظ العقد في كل ما تحدث به عن نظم النثر (١١) .

واكثر من هذا أن أبا هلال العسكري الذي نقل قول العتابي في الفصل الذي خصصه للحديث عن (حسن الأخذ ، وحل المنظوم) آثر النظم على العقد ، أو

---

(٨) المصباح – ٥٧٥ .
(٩) كلثوم بن عمرو العتابي شاعر شامي مجيد توفي ٢٠٨ هـ انظر معجم الشعراء ٢٤٤ – ٢٤٥ .
(١٠) الصناعتين – ٢٢٢ .
(١١) الحلية – ٢/٩٢ – ٩٧ .

المنظوم على المعقود فقال : (وبهذا يعرف أن حلّ المنظوم ، ونظم المحلول اسهل من ابتدائهما ، لأن المعاني – إذا حالت منظوماً ، أو نظمت منثوراً حاضرة بين يديك ، تزيد فيها شيئاً فينحل ، أو تنقص منها شيئا فينظم . وإذا أردت ابتداء الكلام ، وجدت المعاني غائبة عنك ، فتحتاج الى فكر يحضركها (١٢) ويبدو أن الدلالة اللغوية للفظ العقد عند أبي هلال ومعاصريه ، بل وعند الذين جاؤوا بعده ، لم تكن أقل سيطرة على الاذهان من الدلالة الاصطلاحية فقد عرف هؤلاء الحل والعقد بمعنى الفصل والوصل . فنقل الينا أبو هلال قول المأمون : (ما اتفحص من رجل شيئاً كتفحصي عن الفصل والوصل في كتابه والتخلص من المحلول الى المعقود . فأن لكل شيء جمالاً . وحلية الكتاب وجماله في إيقاع الفصل موقعه، وشحذ الفكرة وإجالتها ، في لطف التخلص من المعقود الى المحلول) (١٣) . وعقب أبو هلال على هذا بقوله :

(وقلنا : ان المعقود والمحلول – ها هنا – هو انك اذا ابتدأت مخاطبة ثم لم تنته الى موضع التخلص ، مما عقدت عليه كلامك ، سمي الكلام معقودا . واذا شرحت ، وأبنت عن الغرض المنزوع إليه سمي الكلام محلولا .) (١٤) . فقوله ها هنا يعني أنه لم يغب عنه معنى العقد الاصطلاحي (النظم) هناك . ولو لم يكن لدلالة العقد اللغوية سلطانها في ذهنه لما جاء بقول المأمون وتعقيبه عليه في الفصل الذي خصصه للحديث عن الفصل والوصل بعد أن عرفهما ، وعنون الفصل بهما .

ومهما يكن من شيء فقد آثر المنظوم على المعقود ، والنظم على العقد .

وجاء الثعالبي بعده – ٤٢٩ هـ فألف كتاباً في حلّ النظم ،غير أنه أشرك

(١٢) الصناعتين – ٢١٦ .
(١٣) المرجع نفسه – ٤٤١ .
(١٤) الصناعتين – ٤٤١ .

مصطلح العقد في عنوانه ، مع أن هذا الاشراك حمله على التكرار وإطالة العنوان ، إذ عنونه بـ (نثر النظم ، وحل العقد) (١٥). وتقديمه لنثر النظم على حل العقد ينم عن ضيق انتشار المصطلح على عهده .

وأما ابن رشيق القيرواني – ٤٥٦ هـ فقد آثر النظم على العقد شأنه في هذا شأن الحاتمي والعسكري اللذين أخذ عنهما ما تحدث به عن هذا اللون من الوان البديع . فقال : (وأجل السرقات نظم النثر ، وحل الشعر. وهذه لمحة منه (١٦) غير أن أسامة بن منقذ – ٥٨٤ هـ خصص للحل والعقد باباً ذكر فيه دلاليتهما الاصطلاحية قائلاً : (اعلم أن الحل والعقد – هو ما يتفاضل فيه الشعراء والكتاب هو أن يأخذ لفظاً منثوراً فينظمه ، أو شعراً فينثره (١٧) .

وأفاد ابن أبي الاصبع – ٦٥٤ هـ من أقوال سابقيه فجاء بحد العقد وشيء من شروطه ، فقال : (العقد : وهو ضد الحل ، لانه عقد النثر شعراً . ومن شرائطه أن يؤخذ المنثور بجملة لفظه ، أو بمعظمه ، فيزيد فيه ، أو ينقص منه ، أو يحرف بعض كلماته ليدخل به في وزن من أوزان الشعر . ومتى أخذ معنى المنثور دون لفظه ، كان ذلك نوعاً من أنواع السرقات بحسب الأخذ الذي يوجب استحقاق الاخذ للمأخوذ .

ولا يسمى عقداً إلا إذا أخذ المنثور برمته. وان غير منه بطريق من الطرق التي قدمناها ، كان المبقي منه اكثر من المغير ، بحيث يعرف من البقية صور الجميع (١٨).

وأخذ ابن حجة – ٨٣٧ هـ قوله هذا من غير ما اشارة اليه (١٩) وكذلك فعل ابن معصوم – ١١٢٠ هـ (٢٠) .

---

(١٥) طبع الكتاب في دمشق .
(١٦) العمدة – ٢٩٣/٢ .
(١٧) البديع – ٢٥٩ .
(١٨) تحرير التحبير – ٤٤١ .
(١٩) الخزانة – ٤٥٩ .
(٢٠) انوار الربيع – ٢٩٦/٦ .

غير أن القزويني – ٧٣٩ هـ كان قد أفاد من الاقتباس في حد العقد ، فقال : (وأما العقـد : فهو أن ينظـم نثر لا على طريق الاقتباس) (٢١) وكان من الطبيعي أن يتابع القزويني فيما ذهب اليه ، الذين داروا في فلك تلخيصه من أصحاب الشروح والحواشي والمختصرات وإن خالفوه في بعض ما ذهب اليه فقال السبكي – ٧٧٣ هـ :

(العقد أن يؤخذ الكلام فينظم ، لا على طريق الاقتباس ، أي : لا كما يفعل في الاقتباس . وسمي عقداً لانه كان نثراً محلولاً ، فصار نظماً معقوداً بالوزن) (٢٢) .

وقال التفتازاني – ٧٩١ هـ : (وأما العقد فهو أن ينظم نثر – قرآناً كان، أو حديثاً أو مثلاً ، أو غير ذلك – لا عن طريق الاقتباس يعني : ان كان النثر قرآناً ، أو حديثا ، فنظمه انما يكون عقداً ، إذاغير تغييراً كثيراً ، أو اشير الى أنه من القرآن أو الحديث . وإن كان من غير القرآن والحديث ، فنظمه عقد كيفما كان . إذ لا دخل فيه للاقتباس.) (٢٣) ولم يزد المغربي– ١١١٠ هـ ، والدسوقي – ١٢٣٠ هـ على ما قاله التفتازاني زيادة تستحق الذكر (٢٤) . ومثلهما السيوطي – ٩١١ هـ ، والعباسي – ٩٦٣ هـ (٢٥) .

وجمع المراغي والهاشمي بين ما ذهب اليه ابن أبي الاصبع ، وما ذهب اليه القزويني . فقال المراغي : (العقد : هو نظم المنثور لا على جهة الاقتباس . ومن شرطه أن يؤخذ المنثور بجملة لفظه ، أو بمعظمه ، فيزيد الناظم فيه وينقص ليدخل في وزن الشعر) (٢٦) .

---

(٢١) التلخيص – ٤٢٦ ، الايضاح ضمن شروح التلخيص – ٥٢١/٤ .
(٢٢) عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص – الموضع نفسه .
(٢٣) المختصر ضمن شروح التلخيص – ٥٢١/٤ .
(٢٤) مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص – الموضع ذاته .
(٢٥) عقود الجمان – ١٧٧ ، معاهد التنصيص – ١٨٢/٤ .
(٢٦) علوم البلاغة – ٣٨٧ .

وقال الهاشمي : (العقد : هو نظم الشعر مطلقاً لا على وجه الاقتباس ومن شروطه أن يؤخذ المنثور بجملة لفظه ، أو بمعظمه ، فيزيد الناظم فيه وينقص ليدخل في وزن الشعر) (٢٧)

واقتصر المرصفي في حد العقد على نظم النثر مطلقاً من كل قيد (٢٨) . مقتفياً في هذا آثار الحاتمي والعسكري وابن رشيق وابن منقذ ، وشراح التلخيص .

وانفرد ابن قيم الجوزية ــ ٧٥١ هـ بقوله : (الحل والعقد : وهو أن يأخذ لفظاً منظوماً فينثره ، أو منثوراً فينظمه مع الاتفاق في المعنى) (٢٩).

وهذا القول ظاهر الاضطراب . إذ أن قوله (مع الاتفاق في المعنى) يعني اباحة اختلاف اللفظ ، واختلاف اللفظ يخرجه عن الحل والعقد مع اتفاق المعاني . فما اكثر النصوص الشعرية المتفقة معنى ؛ وما زعم زاعم أنها عقد ، أو حل . وكذلك النصوص النثرية المتفقة فيما بينها معنى فالعقد والحل يقتضيان شيئين اثنين .

أولهما : الإبقاء على النص لفظاً ومعنى ، إلا بمقدار ما يتطلبه نظم المنثور ونثر المنظوم ، لا مجرد الاتفاق .

وثانيهما : الاختلاف بين ما كان عليه النص وما آل اليه نوعاً ، لانهما نظم المنثور ونثر المنظوم . وقد نص ابن قيم الجوزية نفسه على هذا بقوله (أن يأخذ لفظاً منظوماً فينثره ، أو منثوراً فينظمه) غير أنه ألحق به ما يناقضه ، فالضمير في ينثره عائد على اللفظ المنظوم ذاته لا على غيره مما يوافق معناه . وكذلك الضمير في (ينظمه) عائد على اللفظ المنثور ذاته لا على

---

(٢٧) جواهر البلاغة ــ ٤١٨ .
(٢٨) الوسيلة الادبية ــ ١٦٨/١ .
(٢٩) الفوائد ــ ٢٢٥ .

سواه ، فالاتفاق إذاً في اللفظ والمعنى لا المعنى وحده ويبدو أن ابن معصوم كان يعني ابن قيم الجوزية بقوله :

فإنّ نظم المعنى وحده دون اللفظ لم يكن عقداً ، بل نوعاً من السرقة ، خلافاً لمن أدخله في العقد) (٣٠) .

وما ذهب اليه القزويني من أنه نظم النثر لا على جهة الاقتباس مردود لتقييده بما لا يصح نظم المنثور كله بل يخص القرآن والحديث وحدهما. إذ لا يكون الاقتباس من غيرهما . وقد تولى رده شراح التلخيص أنفسهم . ومع هذا فقد تبعه فيه من تبعه .

ومهما يكن من شيء فَحَدُّه بنظم النثر أولى من تقييده .

★ ★ ★

(٣٠) انوار الربيع ـ ٢٩٦/٦ .

العقد والسرق

ذهب أكثر المتحدثين عن العقد أو نظم النثر الى أنه نوع من انواع السرقات ومنهم من ذهب الى أنه من أخفى أنواعها .

فاستهل الحاتمي حديثه عن نظم النثر بقوله : (ومن الشعراء المطبوعين طائفة تخفي السرق ، وتلبسه ، اعتماداً على منثور الكلام ، دون منظومه ، واستراقاً للألفاظ الموجزة ، والفقر الشريفة ، والمواعظ الواقعة ، والخطب البارعة ..) (٣١) .

وصدر أبو هلال العسكري ما جاء به من أمثلة لنظم المنثور ، ونثر المنظوم بقوله : (ومن خفي السرق ..) (٣٢) .

وقال ابن رشيق القيرواني : (وأجل السرقات نظم النثر وحل الشعر)(٣٤) .

ووضعه ابن منقذ مع السرقات المحمودة متابعاً في هذا قول ابن وكيع التنيسي الذي ذكره في حديثه عن النقل قائلاً .

(ومنه السرقات المحمودة والمذمومة . قال ابن وكيع التنيسي : السرقات المحمودة عشرة) (٣٥) .

وعده ضياء الدين بن الأثير من أحلى السرقات فقال :

(ومنها نظم النثر ، وحل العقد وهو من أحلاها) (٣٦) .

وجاء به القزويني مع ماجاء به من الأخذ والسرقة فقال :

---

(٣١) الحلية ـ ٢/٩٢ .
(٣٢) الصناعتين ـ ٢٢١ .
(٣٤) العمدة ـ ٢/٢٩٣ .
(٣٥) البديع ـ ١٨٣ .
(٣٦) كفاية الطالب ـ ١٢٣ .

(الأخذ والسـرقة نوعان : ظاهر وغير ظاهر . .) (٣٧) . ولم يكن الأخذ عنده شيئاً خارجاً عن السرقة . يؤيد هذا شرح المغربي لقوله، حيث قال : (ولما ذكر ما لا يُعَدُّ من باب السرقة أشار الى تقسيم ماهو من بابها.. فالأخذ والسرقة : أي الأخذ الذي هو السرقة في الجملة) (٣٨) .

وشرح الدسوقي له بقوله : (فالأخذ والسرقة ... الخ قوله : أي مايسمى بهذين الاسمين ، أشار بهذا الى أنهما اسمان مترادفان مدلولهما واحد ، لا أنهما متغايران) (٣٩) .

ووضعه السيوطي في خاتمة كتابه التي خصصها للسرقات وما يتصل بها (٤٠) ولا أدري كيف يمكن أن يكون نظم النثر سرقة ، أو نوعاً من أنواعها ، وأخفى أنواعها مع ماذكروه من أن العقد نظم المنثور بجملة لفظه ومعناه . ومن يعمد الى السرقة واخفائها لايأخذ المنثور بجملة لفظه ومعناه فيفضح نفسه ويكشف ماأراد إخفاءه .

وذهبوا الى أن هذا المنثور الذي يعقد إما أن يكون من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف أو الأمثال السائرة أو الحكم المشهورة ، أو الخطب الرائعة ، أو المواعظ الرادعة أو غيرها . وقد وقفنا على جملة الأمثلة التي أوردوها ، فاذا بها أكثرها ــ أن لم نقل كلها ــ من الأنواع التي ذكروها فلم يعقد من غيرها الإ القليل النادر . والذي يريد السرقة ، ويروم اخفاءها لايعمد الى مثل هذه النصوص المشهورة ، بل يعمد الى المغمورة المجهولة كيلا تنكشف سرقته .

---

(٣٧) التلخيص ــ ٤٠٩ ، الايضاح ضمن شروح التلخيص ــ ٤٨٠/٤ .
(٣٨) مواهب الفتاح ــ الموضع نفسه من الشروح .
(٣٩) حاشية الدسوقي ــ الموضع نفسه .
(٤٠) عقود الجمان ــ ١٦٨ .

ومن البلاغيين ، والمتأخرين منهم خاصة ، أولئك الذين تبلور الحد على عهدهم — من حده بأنه نظم النثر لا عن طريق الاقتباس . ففرقوا بينه وبين الاقتباس بأمرين أولهما ألا يشير المقتبس من القرآن أو الحديث الى مايشعر باقتباسه منهما فان أشار صار مانظمه عقداً لا اقتباساً ، فيكف يمكن إذاً أن يعد العاقد لآية كريمة ، أو حديث نبوي شريف سارقاً مخفياً للسرق مع نصه على مصدر أخذه ؟ ؟

وبعد هذا وذاك ، فلو كان العقد سرقاً ، أو من خفي السرق — كما ذهبوا — لما امكنهم التعرف على الذين أولعوا به ، وأكثروا منه ، وذكر كل منهم باسمه ، وبيان ما عقده ، والرجوع به الى مصدره بكل سهولة ويسر ، مع ما نعتوا به أولئك الشعراء المولعين به من مهارة وحذق وقدرة على إخفاء مايريدون إخفاءه . وإذا ماقيل : إن العلماء هم الذين فطنوا الى صنيع هؤلاء الشعراء . فالشعراء لايجهلون أن أشعارهم ستكون بين أيدي أولئك العلماء وأمثالهم .

وأخيراً فاني لاأدري كيف يمكن التوفيق بين عدهم العقد أو نظم النثر من محاسن الشعر ، أو من الوان البديع ، مع أنه — عقدهم — سرق ، أو نوع من السرق ؟

ولا أريد بهذا أن أنفي السرق عن العقد كله ، ولكن الذي أريده قصر السرق فيه على ماعقد من نثر مجهول غير معروف ، لاتعرفه إلا القلة القليلة من الأدباء والعلماء . ولم يشر عاقده بشكل مباشر أو غير مباشر الى مصدر ماعقده ، وتصرف فيه تصرفاً يُلَبِّسُهُ على سامعه أو قارئه .

وما سواه فليس من السرق في شيء لا من قريب ولا من بعيد وأولى من نعته بالسرق ، نعته بالاتباع ، أو الأخذ ، كما نعته الذين وصفوه بالسرق أنفسهم . وبهذا نكون قد وصفناه بما يتفق وحقيقته ، وأعطينا كل ذي حق

حقه من الابتداع والاتباع ، وميزنا بين الآخذ والمأخوذ عنه ، فان أحسن المتبع في عقده ، كان من حسن الاتباع والأخذ ، وإن قصر كان مما قصر فيه المتبع عن المبتدع . وإن ساواه فهو من المساواة بينهما ، وللمبتدع فضل الابتداع ، وللمتبع فضل عقده أو نظمه شعراً .

ومن الانصاف أن نذكر ، أن غير واحد من المتحدثين عن نظم النثر قد باعد بينه وبين السرق ، كابن أبي الاصبع ، حيث قال : (.. ومتى أخذ معنى المنثور دون لفظه ، كان ذلك نوعاً من انواع السرقات ، بحسب الأخذ الذي يوجب استحقاق الآخذ للمأخوذ) (٤١) . وابن معصوم الذي تابعه قائلاً (.. فأن نظم المعنى دون اللفظ لم يكن عقداً، بل نوعاً من السرقة) (٤٢).

أهمية العقد

ليس العقد نسخاً وان كان أخذاً للمنثور بلفظه ومعناه . فهو نظم له . فالناظم أو العاقد هو الذي يختار الوزن والقافية ، ويزيد في المنثور ، أو ينقص منه كيما ينظمه شعراً ، بعد أن كان نثراً .

فمجال التصرف فيه غير قليل ، وقد فرق البلاغيون والمعنيون بالشعر بينه وبين الاقتباس، بكثرة التصرف فيه، وقلته في الاقتباس خاصة، والتضمين عامة . فتصرف الشاعر فيما يعقد أكثر بكثير من تصرف المقتبس أو المضمن . ولهذا كان للعاقد فضل الاحسان إن أحسن ، وعليه إساءته وتقصيره إنْ أساء أو قصر . فحوسب – في صياغته – محاسبة المبتدع ، وقيس به في الاجادة والتقصير. كقول الحاتمي في صالح بن عبدالقدوس : (فنظم هذا المعنى صالح ابن عبدالقدوس ، وبسط لفظه ، فقال وأحسن ..) (٤٣) . وقوله : (فنظم

(٤١) تحرير التحبير – ٤٤١ .
(٤٢) أنوار الربيع – ٢٩٦/٦ .
(٤٣) الحلية – ٩٣/٢ .

هذا المعنى أبو عثمان الناجم ، وأحسن) (٤٤) . وقوله : (فنظر الى هذا البحتري ، ولم يستوفه) (٤٥) فقيس المتبع بالمبتدع . ولولا ماأبيح للمتبع من التصرف ، لما كان هناك من احسان أو تقصير ، ولا من داع يدعو للمقارنة والموازنة بين المتبع والمبتدع .

ويبدو لي أن المتبع أحرص على إجادة الصياغة من المبتدع ماوجد اليها سبيلا ، لأنه هو الذي اختار مااستجاده وأعجبه ، فهو حريص على الإجادة في صياغة ماأعجبه ، حريص على التعويض عن فضل الابتداع بفضل الصياغة والعقد . يضاف الى هذا وذاك أن ما اختاره واستجاده ، مختار جيد بذاته ، معروف مشهور ، فهو إما آية كريمة ، أو حديث نبوي شريف ، أو مثل سائر ، أو حكمة مشهورة ، أو قول جامع من جوامع الكلم ، أو ماأشبه . فلا ينبري للعقد غير الشاعر المطبوع القادر على الإجادة في نظم مثل هذه الأقوال ، وإلا كان إخفاقه وافتضاحه مضاعفاً ، لأنه يكون كمن صَيّر الدّر حجراً .

ولهذا رأينا نقاد الشعر — بغضّ النظر عما أشاروا إليه من السرق — يثنون على من أولع بالعقد من الشعراء ، فقال الحاتمي : (ومن الشعراء المطبوعين طائفة تخفي السرق ، وتلبسه اعتماداً على منثور الكلام ، دون منظومه ، واستراقاً للألفاظ الموجزة ، والفقر الشريفة ، والمواعظ الواقعة ، والخطب البارعة .

وأبو العتاهية ، ومحمود الوراق شديد اللهج بذلك كثيراً في اشعارهما ، ولصالح بن عبدالقدوس درر من ذلك إلا أنه لم يكثر أكثارهما) (٤٦) فما عقده هؤلاء الشعراء درر في نظر الحاتمي ، أكثر منها أبو العتاهية والوراق ،

---

(٤٤) المرجع نفسه — ٢/٩٥ .
(٤٥) الموضع نفسه .
(٤٦) الحلية — ٢/٩٢ .

ولم يكثر منها صالح بن عبدالقدوس أكثارهما . فهذا هو رأي الحاتمي في هؤلاء الشعراء وما عقدوه .

أما ابو هلال العسكري فقد ذهب الى أنه لايكمل لهذا العقد إلا المبرز والكامل المقدم فقال :

(وأحد اسباب إخفاء السرق أن يأخذ معنى من نظم فيورده في نثر ، أو من نثر فيورده في نظم ، أو ينقل المعنى المستعمل في صفة ضمير فيجعله في مديح ، أو في مديح فينقله الى وصف ، إلا أنه لايكمل لهذا إلا المبرز ، والكامل المقدم) (٤٧) .

ويقول الحاتمي في المتنبي مع مابينهما من خصومة :

(ووجدنا أبا الطيب أحمد بن الحسين المتنبي قد أتى في شعره بأغراض فلسفية ومعانٍ منطقية . فان كان ذلك منه عن فحص ونظر وبحث ، فقد أغرق في درس العلوم ، وإن يكن ذلك منه على سبيل الاتفاق ، فقد زاد على الفلاسفة بالايجاز والبلاغة والألفاظ العربية . وهو في الحالين على غاية من الفضل ، وسبيل نهاية من النبل . وقد أوردت من ذلك مايستدل به على فضله في نفسه ، وفضل علمه وأدبه ، واغراقه في طلب الحكمة) (٤٨) . وفاقد الشيء لايعطيه ، والجود من الموجود ، وكل وعاء بالذي فيه ينضح .

ولذلك كان الحل والعقد مما يتفاضل به الشعراء والكتاب كما ذهب ابن منقذ (٤٩) . بل ذهب حازم القرطاجني الى انهما واحد من طريقي اقتباس المعاني فقال :

---

(٤٧) الصناعتين ـ ١٩٨ .

(٤٨) الرسالة الحاتمية ضمن التحفة البهية ـ ١٤٤ .

(٤٩) البديع ـ ٢٥٩ .

(والطريق الثاني الذي اقتباس المعاني منه بسبب زائد على الخيال : هو ما استند فيه بحث الفكر الى كلام جرى في نظم أو نثر ، أو تأريخ ، أو حديث ، أو مثل ، فيبحث الخاطر فيما يستند اليه من ذلك على الظفر بما يسوغ له إبراز ذلك الكلام ، أو بعضه بنوع من التصرف ، والتغيير ، والتضمين .. أو يصير المنثور منظوماً ، أو المنظوم منثوراً .

فأما من لا يقصد في ذلك الارتفاق بالمعنى خاصة غير تأثير من هذه التأثيرات ، فأنه اليكيُّ الطبع في هذه الصناعة ، الحقيق بالاقلاع عنها، وإراحة خاطره مما لايجدي عليه غير المذمة والتعب .) (٥٠)

ولو لم يكن للعقد من فضل ، غير تصيير المنثور منظوماً لكفاه للمنظوم من ميزات يتميز بها على المنثور جعلته أقرب الى النفوس وأعلق بها منه وما أثر الوزن والقافية وما ينجم عنهما من اتساق موسيقي وترابط معنوي بمنكور . ولولا هذا مانظمت العلوم العربية والاسلامية على كثرتها وتنوعها في منظومات تعليمية . وكلها من العقد في الصميم ولم يشر اليها المتحدثون عن نظم النثر لامن قريب ولا من بعيد حتى أصحاب البديعيات أنفسهم .

أمثلة العقد

ماعقد من أقوال حكماء اليونان الأقدمين

قال نادب الاسكندر عند وفاته ــ وقد بكى من كان بحضرته ــ (حركنا بسكونه) . فنظم هذا أبو العتاهية ، فقال :

قَد لَعَمري حكَيتَ لي غُصَصَ المو ت ، وحَرَّكْتَني لَها وسكَنْتا (٥١)

ويقال : إنه لما مات الاسكندر ندبه أرسطاطاليس فقال :

---

(٥٠) منهاج البلغاء ــ ٣٩ .
(٥١) الحلية ــ ٩٣ .

طال ماكان هذا الشخص واعظاً بليغاً ، وما وعظ بكلامه موعظة قط ، أبلغ من موعظته بسكوته .

فنظم هذا المعنى صالح بن عبدالقدوس ، وبسط لفظه ، فقال وأحسن :

ويُنادُونَهُ وقد صُمَّ عَنْهُمْ ثُمَّ قالوا . وللنساء نَحِيبُ
ماالذي عاقَ أَنْ تَرُدَّ جَواباً أيّها المِقْوَلُ الألدُّ اللبِيبُ
إن تكُن لاتُطيقُ رَجْعَ جَوابٍ فَبِها قَدْ نَرى وأَنتَ مطِيبُ
ذُو عِظاتٍ، وما وعظتَ بشيءٍ مثل وَعْظِ السكوتِ إذ لا تُجيبُ

وعقب الحاتمي على هذا بقوله : وأحسبه نظر في قوله : (ان تكن لاتطيق رجع جواب) الى مخاطبة المؤيد لقباذ بعد موته : (كان الملك أمسِ أنطق منه اليوم . وهو اليوم أوعظ منه أمس) (٥٢) .

وتنبيه الحاتمي في محله ، إذ لم يقتصر الشاعر على عقد مقوله النادب . ولو اقتصر عليها لكفاه البيت الأخير من المقطوعة بتغيير طفيف في عجزه ، كأن يقول : مثل وعظ الممات إذ لا تجيب . أو ما أشبه .

وروي أن أرسطاطاليس قال : (تكلمت بكـلام لو مدحت به الدهر ماجاءت علي صروفه) . فنظم هذا المعنى أبو عثمان الناجم ، وأحسن فقال:

وَلي في حامِدٍ أَمَلٌ قَديمٌ وَمَدْحٌ قَدْ مدحتُ به طَريفُ
مديحٌ لو مدحتُ بهِ اللّيالي لمَا جارَتْ عَلَيَّ لها صُروفُ(٥٣)

ولا أراه اقتصر على عقد قول ارسطا طاليس ، ولو اقتصر عليه لكفاه البيت الثاني وحده ، واستغنى عن ذكر حامـد وطريف ومدحه لهما ، وعمد الى لفظ (الكلام) لافادته العموم بدلاً من المدح ، فما كل كلام مدحاً ولقال :

---

(٥٢) الحلية ـ ٩٣ .
(٥٣) المرجع نفسه ـ ٩٥ .

كلام لو مدحت به الليالي لما جارت عليَّ لها صروف

فكان اشبه بعقد مقولة الحكيم .

وقد ألحق ابن منقذ بالعقد كل ماأورده الحاتمي في رسالته الحاتمية من ابيات المتنبي الحكمية التي اشبهت من قريب أو بعيد معاني الحكيم اليوناني أرسطا طاليس (٥٤) . وفاته أن العقد نظم النثر بجملة لفظه ومعناه . وأن الحاتمي نفسه لم يذهب الى أكثر من الاشارة الى موافقة هذه الابيات في معانيها لمعاني حكم الحكيم (٥٥). وموافقة الأبيات لمعاني الحكم شيء وعقد الحكم ونظمها شيء آخر . ولنقف على مثل واحد من هذه الامثلة الكثيرة لنرى إن كانت هذه الموافقة ترتقي الى درجة العقد أم لا .

قال أرسطا طاليس : من استمرت عليه الحوادث ، لم يألم بحلولها .

وقال المتنبي :

إذا اعتادَ الفتى خوضَ المنايا فأهْوَنُ مايمرُّ بهِ الوُحُولُ

فأين هذا من ذاك لفظاً ومعنى وصورة ؟؟ وكيف يكون هذا عقداً لذاك ؟ ؟ ولهذا لم يوافقه في هذا من كل الذين جاءوا بعده غير العباسي الذي اقتصر على طائفة قليلة منها والسيوطي وابن معصوم اللذين اقتصرا على بيت واحد منها (٥٦) .

العقد في أقوال السيد المسيح

لم يشر المتحدثون عن نظم النثر الى مانظم من أقوال السيد المسيح الى غير قوله عليه السلام :

---

(٥٤) البديع ـ ٢٦٤ ـ ٢٨٦ ، وانظر الرسالة الحاتمية ـ ١٤٤ ـ ١٥٩ .
(٥٥) الرسالة الحاتمية ـ ١٤٤ .
(٥٦) انظر معاهد التنصيص ١٨٩/٤ ـ ١٩٠ ، عقود الجمان ـ ١٧٨ ، انوار الربيع ـ ٣٠٢/٦ .

(تعملون السيئات ، وترجون أن تجازوا عليها بمثلِ مايجازى به أهل الحسنات . أجل لايجنى الشوك من العنب) .

فقال ابن عبدالقدوس :

إذا وَتَرْتَ امْرَءاً فاحذَر عداوتَهُ مَنْ يزرع الشوكَ لايحصدبه عنباً(٥٧)

وقد ورد قوله : (لايجنى الشوك من العنب) مع ماورد من الأمثال العربية الجاهلية فلا ندري إن كان المثل أخذ عنه أو أنه أخذه من المثل العربي القديم الذي نجهل مدى قدمه . اللهم إلا إذا أخذنا بنسبته الى اكثم بن صيفي (٥٨) فيكون قول السيد المسيح أصلاً له وهو الأرجح .

العقد من القرآن الكريم

أما العقد من القرآن الكريم فكقول الشاعر :

أَنِلْني بالذي استَقْرَضْتُ خَطّاً وأَشْهِدْ مَعْشَراً قد شاهَدُوهُ

فإنَّ اللهَ خلاّقُ البَرايا عَنَتْ لجلال هَيبته الوُجُوهُ

يقول إذا تداينْتُمْ بِدَيْنٍ إلى أَجَلٍ مُسَمّى فاكتُبُوهُ (٥٩)

وقول ابن النبيه في الملك الصالح :

دمياطُ طُورٌ ، ونارُ الحربِ مُؤْنِسةٌ وأَنتَ موسى ، وهذا اليومُ ميقاتُ

فاطْرحْ عصاك تَلَقَّفْ كُلَّ ماصَنَعوا

ولا تَخَفْ ، ما حِبالُ القومِ حَيّاتُ (٦٠)

---

(٥٧) العمدة ـ ٢٩٣/٢ .

(٥٨) مجمع الأمثال ـ ٥٢/١ وهو فيه من قول اكثم : (انك لاتجني من الشوك العنب) .

(٥٩) عروس الأفراح ، مواهب الفتاح ، حاشية الدسوقي كلها ضمن شروخ التلخيص : ٥٢١/٤ ـ ٥٢٣ ، عقود الجمان ـ ١٧٧ ، معاهد التنصيص ـ ١٨٤/٤ ، أنوار الربيع ـ ٢٩٦/٦ ـ ٢٩٧ ، علوم البلاغة ـ المراغي ـ ٣٨٧ ، جواهر البلاغة ـ ٤١٨ .

(٦٠) عقود الجمان ـ ١٧٧ ـ ١٧٨ .

وقول أبي نؤاس :

بروحي غَزالٌ كانَ للناسِ قِبْلَةً
وقَدْ زُرْتُ في بعضِ الليالي مُصَلّاهُ
ويقرأُ في المحرابِ ، والناسُ خَلْفَهُ
ولا تَقْتُلُوا النَفْسَ التي حَرَّمَ اللهُ
فَقُلْتُ تَأَمّلْ ما تَقُولُ فأنّها
فِعالُكَ يا مَنْ تَقْتُلُ الناسَ عيناهُ (٦١)

وقول أبي نصر سهل بن المرزبان :

لا تَجْزَعَنْ مِنْ كُلِّ خَطْبٍ عَرا
ولا تُرِ الأَعداءَ ما يُشْمِتُ
أَما سَمِعْتَ اللهَ في قَوْلِهِ
إذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا (٦٢)

وقول أبي محمد العبدلكاني :

لا تُكْرِهَنْ خَلْقاً على مَذْهَبٍ لستَ مِنَ الارشادِ في شَيِّ
ألَم تَرَ الرحمن سُبحانَهُ المـ ـخرِجَ للمَيْتِ مِنَ الحَيِّ
يَقولُ لا إكراهَ في الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِن الغَيِّ (٦٣)

وقول المطوعي :

غدا مُنْذُ التَحى لَيْلاً بَهيماً وكانَ كَأَنّهُ البَدْرُ المنيرُ

---

(٦١) معاهد التنصيص ـ ١٨٤/٤ ، أنوار الربيع ـ ٢٩٦/٦ وفيه بنفسي بدلا من بروحي .

(٦٢) معاهد التنصيص ـ ١٨٤/٤ ، أنوار الربيع ـ ٢٩٧/٦ ـ ٢٩١ .

(٦٣) الموضعين نفسيهما . وفي أنوار الربيع (أما ترى) بدلا من (ألم تر) .

فَقَد كَتَبَ السو دُ بعارضَيه ... لِمَنْ يَقْرَأْ، وَجاءَكُمُ النذيرُ (٦٤)

وقوله :

تَكَبَّرَ لَمّا رَأى نَفْسَهُ ... على صُورَةِ الشّمْسِ قَدْ صُوِّرَتْ
سَيَنْدَمُ أَلْفاً على كِبْرِهِ ... إذا الشّمْسُ في خَدِّهِ كُوِّرَتْ (٦٥)

وقول الصابوني الاشبيلي :

رأيتُ في خَدِّهِ عِذاراً ... خَلَعتُ في حُبِّهِ عِذاري
قَدْ كَتَبَ الحُسْنُ فيهِ شِعْراً ... ويولجُ الليل في النهارِ (٦٦)

وقول ابن يَعْمُور :

خَطْبٌ أَتى مُسْرِعاً فآذى ... أَصْبَحَ جِسْمي بِهِ جُذاذا
خَصَّصَ قَلْبي ، وعَمَّ غيري ... يا ليتني متُّ قَبلَ هذا (٦٧)

وقول أبي الحسين الجزّار :

أَصْبَحْتُ جزّاراً ، وفي البيتِ لا ... أَعْرِفُ ما رائحةُ اللّحْمِ
جَهِلْتُهُ فَقْراً فكُنْتُ الذي ... أَضلّه الله على عِلمِ (٦٨)

وله في غَرَضٍ عَرَضَ :

أَرَى الضَحايا قُسِّمَتْ في الوَرَى ... وضاعَ فيما بَينهُمْ قِسْمِي
وكُلُّ من يعلَمُ حالي فَقَد ... أَضَلّهُ الله على عِلْمِ (٦٩)

وقول ابن جابر الاندلسي :

يا صاحبَ المالِ ألم تَسْتَمِعْ ... لِقَولِهِ : ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ
فاعْمَلْ بِهِ خَيْراً ، فَوَاللهِ ما ... يَبْقَى، ولا أَنْتَ لَهُ تَخْلُدُ (٧٠)

---

(٦٤) الموضع نفسه من المعاهد .
(٦٥) الموضع نفسه .
(٦٦) (٦٧) (٦٨) (٦٩) معاهد التنصيص ـ ١٨٥/٤ .

وقوله أيضاً :

إذا شِئْتَ رِزقاً بــلا حِسْبَةٍ فَلُذْ بالتُّقَى ، واتّبِعْ سَــبْلَهُ
وتصديقُ ذلكَ في قولــهِ ومَنْ يَتّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ (٧١)

وقول أبي جعفر الأندلسي :

إذا ظَلَمَ المــرءُ فامْهِلْ لَهُ فَبِالقُرْبِ يُقْطَعُ مِنهُ الوَتِينْ
فَقَد قالَ رَبُّكَ ، وهــو القَوِيّ وأُمْلِي لَهُمْ ، إنّ كَيدِي مَتِينْ (٧٢)

وقال الامام أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر التميمي :

يا مَنْ عَــدا ، ثُمّ اعْتَدى ، ثُمّ اقْتَرَفْ
ثُمّ انْتَهى ، ثُمّ ارعَوى ، ثُمّ اعْتَرَفْ
أَبْشِــرْ بِقَولِ اللهِ فــي آيــاتِــهِ
إنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ ما قَد سَلَفْ (٧٣)

العقد من الحديث النبوي الشريف

قال الحاتمي : روي عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : (اليد العليا خير من اليد السفلى) فنظم أبو العتاهية بعض هذا اللفظ ، وأخل ببعضه ، فقال :

إفْرَحْ بما تَأْتِيهِ مِنْ طَيِّبٍ
إنّ يَدَ المُعْطِي هِيَ العُلْيا (٧٤)

وقال أبو هلال العسكري : وسمعت قول النبي صلى الله عليه وسلم :

---

(٧٠) (٧١) معاهد التنصيص ــ ١٨٥/٤ .
(٧٢) الموضع نفسه ، انوار الربيع ــ ٢٩٨/٦ .
(٧٣) انوار الربيع ــ ٢٩٧/٦ .
(٧٤) الحلية : ٩٢/١ . والذي أراه أن العقد لقوله صلى الله عليه وسلم : (يد المعطي العليا) انظر سنن النسائي ٤٦/٥ ، فلا اخلال بما عقد .

(يسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم ، حيثما كانوا) فقلت :

يَسْعَى بِذِمّتِهِمْ أَدناهُمُ وَهُـمُ
يَدٌ على مَنْ سِواهُمْ حَيْثُما كانوا (٧٥)

وقال القزويني : وأما عقد الحديث . فكما روي عن الشافعي رضي الله عنه :

عُمْدَةُ الخير عِنْدَنَا كَلِمـاتٌ أَرْبَعٌ قالَهُنَ خَيْـرُ البَرِيّةْ
اتّقِ المُشْبِهات ، وازْهَـد ، وَدَعْ ما
لَيس يَعْنِيكَ ، واعْمَلَنَّ بِنِيّةْ (٧٦)

عقد قوله عليه السلام : (الحلال بيّن ، والحرام بيّن ، وبينهما مشتبهات) ، وقوله عليه السلام : (ازهد في الدنيا يحبك الله) وقوله عليه السلام : (من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه) ، وقوله عليه السلام : (انما الاعمـال بالنيات) (٧٧) .

وذكر السيوطي قول شيخ الاسلام أبي الفضل ابن حجر :

إنَّ مَنْ يَرْحَمُ أَهْلَ الأَرضِ قد
آنَ أَنْ يَرْحَمُهُ مَنْ في السّمـا
فَارْحَمِ الخَلْقَ جَمِيعـاً إنّمـا
يَرْحَمُ الرَّحْمانُ مِنَا الـرُّحَما

---

(٧٥) الصناعتين : ٢٢١ .

(٧٦) الايضاح ، وعروس الافراح ، ومواهب الفتاح ، وحاشية الدسوقي في شروح التلخيص : ٤/٥٢١ ـ ٥٢٣ . وفيها جميعا بالرواية ذاتها للشافعي وهما كذلك في معاهد التنصيص ٤/١٨٦ ، وانوار الربيع : ٦/٢٩٨ ـ ٢٩٩ . وعزاهما السيوطي لأبي الحسن طاهر بن معوذ الاشبيلي ، وقال : من نسبهما الى الشافعي فقد غلط ، انظر عقود الجمان : ١٧٨ ، وفيه (عمدة الدين) مكان (عمدة الخير) .

(٧٧) المراجع السابقة المواضع ذاتها .

ولم يذكر ما عقده ابن حجر من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم — بقوله هذا (٧٨) كما أورد له قوله :

مِنْ خَيرِ ما يَتّخِذُ الانْسانُ في
دُنياهُ كَيْما يَسْتَقِيم دِينُـه
قلباً شـكوراً ، ولساناً ذاكـراً
وزوجـةً صـالحـةً تُعِينُـه

وقال : عقد حديث : (ليتخذ أحدكم قلباً شاكراً ، ولساناً ذاكراً ، وزوجة صالحة تعينه على أمر الآخرة) حَسّنَهُ الترمذي (٧٩) .

ومثل العباسي لعقد الحديث بقول عبدالمحسن بن محمد الصوري :

لِمْ . تَغَرَّبْتَ ؟ قُلتُ: قالَ رسولُ الله ، والقَولُ مِنهُ نُصْحٌ ونُجْحُ
(سافِروا تَغْنَمـوا فَقـالَ : وقَـدْ قا
لَ تَمامُ الحديثِ (صُومُوا تَصِحُّوا) (٨٠)

وقول ابن خلكان :

انْظُرْ إلى عـارِضِـهِ فَـوْقَـهُ
لِحـاظُـهُ تُرسَلُ مِنها الحُتُوفْ
تُشـاهِدِ الجَنّـةَ في وَجْهِـهِ
لكِنّها تَحتَ ظِلالِ السُّيوفْ (٨١)

وقول ابن نباتة المصري :

---

(٧٨) عقود الجمان : ١٧٨ . ويبدو لي أن الاول عقد لقوله صلى الله عليه وسلم (ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء) . والثاني لقوله صلى الله عليه وسلم (انما يرحم الله من عباده الرحماء) . والله أعلم .

(٧٩) الموضع نفسه .

أقولُ لمَنْ يتَشَكّى الخُطُوب
ويَحْذَرُ من مُوبِقاتِ الصُّـرُوفْ
عليكَ بأبوابِ سَيْفِ العُـلا
ملاذِ الفقيرِ ، وأَمْنِ المَخوفْ
تَجِدْ ظِلّـهُ جَنّةً ، والجِنـان
بِلا شَكّ تَحتَ ظِلالِ السُّيوف(٨٢)

وقول الحلي :

مُتْ شَهِيداً في غَزالٍ أَلُوفٍ ... لَيِّنِ الأَعطافِ غير عَطوفِ (٨٣)
خَـدُّهُ دُونَ ظُـبا مُقلَتَيـهِ ... جَنّـةٌ تَحْتَ ظِلالِ السُّيُوفِ(٨٣)

وقول ابن جابر :

عَمَلٌ إنْ لَمْ يُوافِقْ نِيّةً ... فَهُوَ غَرْسٌ لا يُرى مِنْـهُ ثَمَرْ
إنّما الأَعمالُ بالنيّاتِ قَـدْ ... نَصَّهُ عَن سَيِّدِ الخَلْقِ عُمَرْ(٨٤)

وقول أبي جعفر :

مَنْ سَلِمَ المُسلمونَ كُلُّهُمُ ... وأمِنُوا مِنْ لِسانِهِ ويَدِهْ
فَذلِكَ المُسْلِمُ الحَقيقُ بِـذا ... جاءَ حَديثٌ لاشَكَّ في سَنَدِهْ(٨٥)

وقول بعضهم :

إنَّ القُلُوبَ لأَجْنادٌ مُجَنّدَةٌ ... بالاذْنِ مِنْ رَبِّها تَهوى وَتَأْتَلِفُ
فما تَعارَفَ مِنها فَهُوَ مُؤْتَلِفٌ ... وَما تَناكَرَ مِنها فَهُوَ مُخْتَلِفُ

(٨٠ ـ ٨٣) معاهد التنصيص : ١٨٦/٤ ـ ١٨٧ . والاول منها في انوار الربيع ٢٩٩/٦ ـ ٣٠٠ .

(٨٤) (٨٥) المرجع السابق الموضع ذاته .

عقد قوله صلى الله عليه وسلم : (الارواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف) (٨٦) .

أما أصحاب البديعيات ، فقد نقل الينا ابن حجة الحموي ما عقدوه فقال : (وبيت الشيخ صفي الدين ، قوله :

ما شَبَّ مِنْ خصْلَتَيْ حِرصِي وَمِنْ أَمَلِي
سِوى مَدِيحِكَ في شَيبِي وفي هَرَمِي

المعقود في هذا البيت من العقد ، قول النبي صلى الله عليه وسلم :

(يشيب ابن آدم ، ويشب فيه خصلتان : الحرص وطول الأمل) — وعقب الحموي على هذا بقوله — أما الشيخ صفي الدين ، فإنّي لم أصادف في بيته من عقد الحديث النبوي محلاً ، ولكن ذكر فيه حكاية حالةٍ .

وبيت الشيخ عزالدين في بديعيته قوله :

عَقْدُ اليَقِينِ صَلاتِي ، والسلامُ عَلى مُحَمَّدٍ دائماً مِنّي بلا سَأَمِ (٨٧)

وأما الشيخ عزالدين — غفر الله له — فانه ذكر في شرحه : أن الصحابة — رضي الله عنهم — قالوا : يا رسول الله ، قد علمنا كيف نسلم عليك ، فكيف نصلي عليك ؟ فقال — صلى الله عليه وسلم — « قولوا : اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد ، كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم » . وفي حديث آخر ، « قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك ، النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم » . وفي الحديث « اكثروا من الصلاة عَلَيَّ » ومنه قوله تعالى : « ان الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صَلُّوا عليه وسَلِّمُوا تسليماً » [٥٦ الأحزاب ٣٣] . وذكر أنه عقد الآية والحديث.

---

(٨٦) الوسيلة الادبية : ١٦٨/١ ، علوم البلاغة للمراغي : ٣٨٧ ، جواهر البلاغة: ٤١٨ .

(٨٧) الخزانة : ٤٥٩ .

ولم يظهر لي حل هذا العقد في أي موضع هو من البيت . وبيت بديعيتي :

قَدْ صَحَّ عَقْدُ بَياني في مَناقِبِهِ وإنَّ مِنْهُ لَسِحْراً غير سِحْرِهِم

العقد هنا قوله صلى الله عليه وسلم : « ان من البيان لسحراً ») .

العقد من أقوال السلف

قال الحاتمي : ومن بديع التشبيه قول العباس بن الأحنف :

أُحْرَمُ مِنكُم بما أَقولُ وَقَـدْ نالَ بِهِ العاشِقُونَ مَنْ عَشِقُوا

حَتّى كَأَنّي ذُبالَةٌ نُصِبَتْ تُضِيءُ لِلنّاسِ ، وَهْيَ تَحْتَرِقُ

انتظم به قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه (أنالكم ذبالة تضيء وتحترق) (٨٨)

وقال ابن منقذ : ومنه قول أمير المؤمنين علي عليه السلام للاشعث بن قيس : (انك ان صبرت جرى القضاء عليك وأنت مأجور ، وان جزعت جرى القضاء عليك وأنت مأزور ، وإنك ان لم تسل احتسابا ، سلوت غفلة كما تسلو البهائم) عقد ابو تمام فقال :

أَتَصْبُرُ لِلبَلْوَى حَياءً وَحِسْبَةً

فَتُؤْجَرَ ، أَمْ تَسْلُو سُلُوَّ البَهائِمِ (٨٩)

وقال ابن أبي الاصبع : ومنه قول أبي العتاهية :

ما بالُ مَنْ أَوَّلُه نُطْفَةٌ وَجِيفَةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ

فأنه عمد الى قول علي بن أبي طالب عليه السلام :

ما لابن آدم والفخر ، وإنما أوله نطفة ، وآخره جيفة) فعقدشعرا (٩٠) وعدّ

---

(٨٨) الحلية : ٩٢/٢ .

(٨٩) البديع : ٢٥٩ ـ ٢٦٠ ، تحرير التحبير ـ ٤٤١ ، الخزانة ـ ٤٥٩ ، معاهد التنصيص ـ ١٨٧/٤ .

(٩٠) التحرير ـ ٤٤١ ، الايضاح ، عروس الافراح ، مختصر التفتازاني ، مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص ـ ٥٢٢/٤ ـ ٥٢٤ ، عقود الجمان ـ ١٧٨ ، معاهد التنصيص ـ ١٨٢/٤ .

القزويني منه قول الشاعر :

إلْبَسْ جَدِيدَكَ ، إنَّني لابِسٌ خَلَقي
ولا جَديدَ لِمَنْ لا يَلْبَسُ الخَلَقا

وقال : عقد المثل (لا جديد لمن لا خلق له) قالته عائشة رضي الله عنها ، وقد وهبت مالاً كثيراً ، ثم أمرت بثوب لها أن يرقع . يضرب في الحث على استصلاح المال . (٩١)

وقول الآخر :

يا صاحِبَ البَغْيِ ، إنَّ البَغْيَ مَصْرَعَةٌ
فَارْبَعْ ، فَخَيرُ فِعالِ المَرْءِ أَعْدَلُهُ
فَلَو بَغَى جَبَلٌ يَوماً على جَبَلٍ
لاَنْدَكَّ مِنْهُ أَعالِيهِ وأَسْفَلُهُ

عقد قول ابن عباس رضي الله عنهما : (لو بغى جبل على جبل لَدُكَّ الباغي) (٩٢)
وقال عبدالله بن مسعود : (إن الرجل ليظلمني فأرحمه) فنظمه محمود الوراق فقال :

إنّي شَكَرْتُ لِظالمي ظُلْمِي
وَغَفَرْتُ ذاكَ لَهُ عَلى عِلْمِ
ما زالَ يَظْلِمُني وأَرْحَمُهُ
حَتّى رَثَيْتُ لَهُ مِنَ الظُلْمِ (٩٣)

---

(٩١) الايضاح ـ ٥٢٢/٤ ـ ٥٢٣ .
(٩٢) الموضع نفسه ، أنوار الربيع ـ ٣٠٢/٦ .
(٩٣) الحلية ـ ٩٣/٢ .

وقال الحاتمي : قال محمد بن سلام : قال معاوية بن أبي سفيان (إكرام الشاعر من بر الوالدين) فقدم على أبي أيوب المكي شاعر من واسط ، فمدحه، ونظم هذا الكلام ، فقال :

إنَّ مِنْ بِرٍّ والِدَيْكَ جَميعـاً أَنْ تَوَخّى مَسَرَّةَ الشُعَراءِ (٩٤)

وقال ايضاً : وقال عمر بن عبدالعزيز – رحمه الله – للقاسم بن محمد . ومحمد بن كعب القرظي : عظاني – فقال محمد بن كعب : (استيقن أنك أول خليفة تموت) .

وقال القاسم : (أبونا آدم أخرج من الجنة بذنب واحد .) فنظم قول القاسم محمود الوراق ، فقال :

تَصِلُ الذُنُوبَ إلى الذُنُوبِ وَتَرْتَجِي
دَرَكَ الجِنانِ بِها ، وفَوز العـابِدِ
ونَسِيتَ أَنَّ اللهَ أَخـرجَ آدَمـاً
مِنها إلى الدُّنْيا بِذَنْبٍ واحِدٍ (٩٥)

وقال ايضاً : خرج عمر بن عبدالعزيز مع جماعة من أهله ، فمر بمقبرة ، فقال : قفوا حتى آتي الأحبة فأسألهم ، واسلم عليهم . فلما توسطها وقف فسلم ، ثم قال لاصحابه لَمّا عاد اليهم : ألا تسألون ما ذا قلت ؟ وماذا قيل لي ؟ قالوا : يُعَرِّ فنا أمير المؤمنين . قال : لما وقفت وسلمت فلم يرُدُّوا ، ودعوت فلم يجيبوا ، نوديت : يا عمر ، أما تعرفني ؟ أنا الذي غيرت محاسن وجوههم ، ومزقت الاكفان عن جلودهم ، ومزقت المفاصل والاقدام ، ومنعتهم الأنفاس والكلام .

---

(٩٤) الحلية : ٩٢/٢ .
(٩٥) الموضع نفسه .

ثم لم يزل يبكي حتى سقط مغشيا . فنظر الى هذا المعنى أبو العتاهية فقال :

إنّي سألْتُ التُـرْبَ ما فَعَلَتْ بَعدي وُجُوهٌ فيكَ مُنْعفِرَةْ
فأجابَني صَيّرْتُ رِيْحَهُمُ تُؤذِيكَ بَعدَ رَوائِحٍ عَطِرَةْ
وأكَلْتُ أَجْساداً مُنَعّمَةً كانَ النَعِيمُ يَصُونُها نَضِرَةْ
لَمْ يَبْقَ غَيرُ جماجِمٍ بَلِيَتْ بيضٍ تَلوحُ وأعظُمٍ نَخِرَةْ (٩٦)

وقال عبدالله بن الزبير لما قتل أخوه مصعب : (إن التسليم والسلوة لحزماء الرجال ، والهلع لِرَبّات الحجال) . عقده أبو تمام ، فقال :

خُلِقْنا رِجالاً للتَجَلُّدِ والأسى وتِلكَ الغَوانِي للبُكا والمآتِم (٩٧)

وقال الرشيد : (لو جمد الخمر لكان ذهبا ، أو ذاب الذهب لكان خمرا) فنظمه غيره فقال :

وَزَنّا لَها ذَهَباً جامِداً فكالَتْ لَنا ذَهَباً سائِلا (٩٨)

وقيل لاعرابي وقد خلا بمن أحب : ما رأيت ؟ فقال : (ما زال القمر يرينيها ، فلما غاب أرتنيه) . فنظم هذا الحسن بن سهل ، فقال :

أراني البَدْرُ سُنّتَها عِشاءً فَلَمّا أَزْمَعَ البَدرُ الأُفُولا
أَرَتْنِيهِ بِسُنّتِها فَكانَتْ مِن البَدرِ المُنَوِّرِ لي بَدِيلا

فنظر الى هذا البحتري ، فقال ولم يستوفه :

أَضَرَّتْ بِضَوءِ البَدرِ ، والبَدرُ طالِعٌ
وَقامَتْ مَقامَ البَدْرِ لَمّا تَغَيّبا (٩٩)

---

(٩٦) الحلية ـ ٢/٩٤ .
(٩٧) البديع ـ ٢٦٠ .
(٩٨) المرجع نفسه ـ ٢٥٩ .
(٩٩) الحلية ـ ٢/٩٤ ـ ٩٥ .

وسمع بعضهم قول العرب : (اذا فارق القمر الثريا ، فقد ولى الشتاء) فنظمه فقال :

إذا ما فَـارَقَ القَمَرُ الثُّـريّـا لِثالِثَةٍ فَقَدْ ذَهَبَ الشِّتاءُ (١٠٠)

فهذه هي الأمثلة التي تضمنتها الكتب المعنية بالبلاغة ، ووجوه تحسين الكلام المعروفة المتداولة أو اكثرها . وهي تكشف بوضوح تام أهمية القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في نظم النثر وكثرة ما نظم منهما اذا ما قيس بما نظم من غيرهما ويزيد في هذه الأهمية الحديث الذي عثرت عليه – عرضاً – في كتاب أمثال الحديث للرامهرمزي ،وهو ما سأورده مفصلاً لكونه من اسبق ما نظم شعراً في الاسلام واكثر هذه الأمثلة انطباقاً على النثر .

نص الحديث

حدثنا علي بن أحمد بن عمران المصيصي ، حدثنا عمرو بن عثمان بن كثير الحمصي ، حدثنا أبي ، حدثني عبدالله بن عبدالعزيز – يعني الليثي – حدثنا محمد ابن عبد العزيز عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة . وعن سعيد بن المسيب . عن عائشة رضي الله عنها .

قال أبو محمد : قال لي عبدالله بن أحمد بن موسى عبدان ، حدثنا عمر بن عثمان ، حدثنا أبي – يعني باسناده – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً لاصحابه :

أتدرون ما مثل أحدكم ومثل أهله وماله وعمله ؟ ؟

فقالوا : الله ورسوله أعلم . فقال :

---

(١٠٠) الصناعتين– ٢٢١ .

إنما مثل احدكم ومثل ماله وأهله وولده وعمله ، كمثل رجل له ثلاثة إخوة فلما حضرته الوفاة دعا بعض اخوته ، فقال :

إنّه قد نزل بي من الأمر ما ترى ، فمالي عندك، ومالي لديك ؟ ؟ فقال : لك عندي أن أمرضك ، ولا أزايلك ، وأن أقوم بشأنك . فإذا مت غسلتك ، وكفنتك ، وحملتك مع الحاملين ، أحملك طوراً وأميط عنك طورا ، فاذا رجعت أثنيت عليك بخير عند من يسألني عنك . هذا أخوه الذي هو أهله ، فما ترون ؟ ؟

قالوا : لا نسمع طائلاً يا رسول الله .

ثم يقول للأخ الآخر : ترى ما قد نزل بي ، فمالي لديك ، ومالي عندك ؟ فيقول : ليس عندي غناء ، إلا وأنت في الأحياء ، فاذا مت ذهب بك في مذهب ، وذهب بي في مذهب .

هذا أخوه الذي هو ماله ، كيف ترونه ؟ ؟

قالوا : لا نسمع طائلاً يا رسول الله . ثم يقول لأخيه الآخر :

ترى ما قد نزل بي ، وما ردّ به عليّ أهلي ومالي ، فما لي عندك ومالي لديك ؟ ؟ فيقول :

أنا صاحبك في لحدك ، وأنيسك في وحشتك . وأقعد يوم الوزن في ميزانك، فأثقل ميزانك .

هذا أخوه الذي هو عمله ، فكيف ترونه ؟ ؟ قالوا : خير أخ ، وخير صاحب يا رسول الله . قال : فإنّ الأمر هكذا .

قالت عائشة – رضوان الله عليها – فقام اليه عبدالله بن كرز ، فقال : يا رسول الله ، أتأذن لي أن أقول على هذا أبياتاً ؟ فقال : نعم . فذهب، فما بات إلا ليلة . حتى عاد الى رسول الله صلّى الله عليه وسلم – فوقف بين يديه واجتمع الناس . وأنشأ يقول :

وَإنّي وَأَهْلي وَالّذي قَدْ مَتْ يَدي ... كَداعٍ إلَيه صَحْبَهُ ثُمَّ قـائِلِ
لِأخْوَتِهِ إذْ هُمْ ثَلاثَةُ إخْوَةٍ ... أَعِينُوا عَلى أَمْرٍ بِيَ اليومَ نازِلِ
فِراقٌ طَويلٌ غَيْرُ مُتّثِقٍ بِـهِ ... فماذا لَدَيْكُمْ في الّذي هو غائِلي
فقال امْرُؤٌ مِنْهُمْ أَنا الصّاحِبُ الّذي ... أُطيعُكَ فيما شِئْتَ قَبْلَ التَزايُلِ
فأمّا إذا جَدَّ الفِراقُ فَانّنـي ... لِما بَيْنَنا مِنْ خُلّةٍ غيرُ واصِلِ
فخذ ما أردتَ الآن مني فإنّني ... سيُسلَكُ بيْ في مَهْيَلٍ من مَهايِلِ
وإنْ تُبْقِنِي – لا تُبْقِ – فاسْتَنْقِذَنّني
وَعَجِّلْ صَلاحاً قَبْلَ حَتْفٍ مُعاجِلِ
وقالَ امْرُؤٌ قَد كُنتُ جِدّاً أُحِبُّـهُ
وأُوثِره مِنْ بَيْنِهِمْ في التَفاضُـلِ
غَنائِيَ أَنّي جاهِـدٌ لَكَ نـاصِـحٌ
إذا جَدَّ جَدُّ الكَرْب غيـرُ مُقاتِـلِ
وَلكِنّنـي باكٍ عَلَيكَ وَمُعْـوِلٌ
وَمُثْنٍ بِخَيْرٍ عِنْدَ مَنْ هُوَ سائِلي
وَمُتّبِعُ المـاشِينَ أَمْشِي مُشَيَّعـاً
أُعِينُ بِرِفْـقٍ عُقْبَـةَ كُلّ حامِلِ
الى بَيْتِ مَثْواكَ الّذي أَنْتَ مُـدْخَلٌ
وَأَرْجِـعُ مَقْرونـاً بما هُوَ شـاغِلِي
كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْني وَبَيْنَكَ خِلّـةٌ
ولا حُسْنُ وُدٍّ مَرَّةً فـي التبـاذُلِ
فذلك أَهْلُ المَرْءِ ذاك غَنـاؤُهُـم
وَلَيْسُوا وإنْ كانُوا حِراصاً بِطائِلِ

وقالَ امرؤٌ مِنْهُم أَنا الأَخُ الا تــرى
أَخــاً لَكَ مِثْلِي عِنْدَ كَرْبِ الزَّلازِلِ
لَدَى القَبْرِ تَلقانِي هُنالِكَ قاعِــداً
أُجادِلُ عَنْكَ القَولَ رَجْعَ التَجادُلِ
وأَقْعُدُ يَوْمَ الوَزنِ في الكَفَّةِ الــتي
تكــونُ عَلَيها جاهِداً في التَثاقُــلِ
فَلا تَنْسَنِي وَاعْلَمْ مكــاني فإنّــني
عَلَيك شَفِيقٌ ناصِــحٌ غَيرُ خــاذِلِ
فَذلكَ ما قَدَّمْــتَ مِنْ كُلِّ صــالحٍ
تُلاقِيــهِ إنْ أَحْسَنْتَ يَوْمَ التَواصُلِ

قالت : فبكى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبكى المسلمون من قوله .

وكان عبدالله بن كرز لا يمر بطائفة من المسلمين ، إلا دعوه واستنشدوه فأذا أنشدهم بكوا .

توثيقه وأهميته

أخرجه بلفظه وسنده الرامهرمزي في كتابه أمثال الحديث : ١١٥ – ١١٩ وورد عنه في الكنز : ٢٠ – ٢٢٩ – ٢٣١ . وعقب عليه السيوطي قائلاً فيه : (أخرجه الرامهرمزي في الأمثال ، وفيه عبد الله بن عبد العزيز الليثي عن محمد بن عبد العزيز الزهري : ضعيفان) .

وقال ابن حجر في الاصابة في ترجمة عبد الله بن كرز الليثي – ٤–٢١٧ – ٢١٨ (وقع ذكره في حديث لعائشة ، أورده جعفر الفريابي في كتاب الكُنى له . وابن أبي عاصم في الوحدان ، وابن شاهين ، وابن منده في

الصحابة ، وابن أبي الدنيا في الكفالة ، والرامهرمزي في الأمثال . كلهم من طريق محمد بن عبد العزيز الزهري عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة .

إني ومالي والذي ملكت يدي كداعٍ اليـه صحبه ثم قائل
لاصحابه اذ هـم ثلاثة اخوة أعينوا على أمري الذي بي نازل

وقد أخرجه الرامهرمزي في الأمثال بسند آخر عن أبي بن كعب مرفوعاً به من غير ما ذكر للشعر والشاعر : ١١٤ — ١١٥ .

وذكر في الكنز — ٢٠ — ٢٣٢ — ٢٣٣ . وعقب عليه السيوطي بقوله : (أخرجه الرامهرمزي في الأمثال ، وفيه أبو بكر الهذلي : واهٍ) .

وذكر الذهبي هؤلاء الثلاثة : عبد الله بن عبد العزيز الليثي ، ومحمد بن عبد العزيز الزهري ، وأبو بكر الهذلي في الضعفاء .

غير أن ضعف السند لا يوجب ضعف المتن . فقد أخرج الطبراني في الكبير والأوسط عن النعمان بن بشير مرفوعاً به الحديث بسياق المثل مختصراً. وأحد أسانيده في الكبير رجاله رجال الصحيح ، كما في مجمع الزوائد للهيثمي — ١٠ — ٢٥١ — ٢٥٢ . كما أخرج الحاكم حديث النعمان بن بشير مرفوعاً به في المستدرك —١ / ٧٤ — ٧٥ ، ٣٧٢ باسناد صحيح على شرط مسلم . ووافقه الذهبي في تصحيحه .

وأخرجه البزار بسياق المثل أيضاً عن أبي هريرة مرفوعاً به (مثل ابن آدم وماله وأهله وعمله كرجل له ثلاثة اخوة ... الخ) ورجاله رجال الصحيح . كما في مجمع الزوائد — ١٠ — ٢٥٢ .

وورد الحديث بسياق المثل — أيضاً — في الأمثال من الكتاب والسنة غير أنه في البخاري — ٨ / ١٣٤ ، ومسلم — ٤ / ٢٢٧٣ ، والترمذي— ٤ / ٥٨٩، والنسائي — ٤ / ٤٣ ، وأحمد — ٣/ ١١١ عن أنس بن مالك مرفوعاً به . واقتصر على : (يتبع الميت ثلاثة ، فيرجع اثنان ، ويبقى معه

واحد : يتبعه أهله ، وماله ، وعمله . فيرجع أهله وماله ،ويبقى عمله) واللفظ للبخاري ، والخلاف بينهم فيه طفيف . وهو كذلك في الترغيب ٢ / ١٨٢ ، ٦ / ١٢ فضلاً عما وافق فيه الحاكم والطبراني . وهو كذلك في المشكاة – ٢ – ٦٥٠ ، والكشف – ٢– ٣٨٤ فصحته – متنا واسناداً في هذه الكتب – أغنى من أن يشار اليها بعد اتفاق الأربعة وأحمد .

ومن الجدير بالملاحظة أن الترمذي كان قد خصص لهذا النص من (باب ما جاء مثل ابن آدم ، وأهله وولده ، وماله وعمله) .

وعقب قائلاً : (هذا حديث حسن صحيح) . والمتن عنده – كما عند الثلاثة الآخرين وأحمد – لا يكاد يزيد على عنوان الباب إلا قليلاً . ولم يورد في الباب غيره ، وليس في النص الذي أورده ما يشعر بالتمثيل المعهود في أمثال القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف المصرح بمثاليتها. تلك الأمثال التي قال فيها الرامهرمزي في مقدمة كتابه أمثال الحديث .

(هذا ذكر الأمثال المروية عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وهي على خلاف ما رويناه من كلامه المشاكل للأمثال المذكورة عن متقدمي العرب . فإنّ تلك تقع مواقع الافهام باللفظ الموجز المجمل . وهذه بيان وشرح وتمثيل يوافق أمثال التنزيل) .

كما أن النص لا يشبه أمثال النبي صلى الله عليه وسلم – الموجزة السائرة التي تشبه أمثال العرب ، كقوله صلى الله عليه وسلم : (هدنة على دَخَن) وأشباهه . انظر في هذا الأمثال في القرآن الكريم والأمثال في الحديث النبوي الشريف جمع وتخريج ودراسة لكاتب هذه السطور . فكيف يخصص الامام الترمذي – رحمه الله – باباً ، ويعنونه بعنوان لا يكاد يزيد على الفاظ المتن لو لم يكن أصل الحديث مطولاً واختصر ومهما يكن من شيء فلو أننا أدرجنا متون ما انتهى المحدثون الى الحكم بصحتها متناً واسناداً لما ندّ من حديث عائشة رضي الله عنها شيء عن تلك المتون ، سوى ما كان من أمر نظمه شعرا.

وليس لنا أن نطمع بتضمن كتب الحديث لهذه القصيدة مع ما عهدناه من ضيقها بالشعر ، وخلوها منه مع ما كان له من أثر فعّال في الصراع بين المؤمنين من جهة ، والكافرين والمشركين ، والكتابيين من جهة أخرى ، وتضمنهما اكثر من حديث وثيق الصلة بالشعر والشعراء .

ويكفينا أنّ أياً من المحدثين لم يشر الى ضعف المتن . وضعف السند كما أسلفنا لا يوجب ضعف المتن ، وقد وقعنا على ما صح سنداً ومتنا وجاء بسياق المثل وعلى اسلوبه مختصرا ، وليس الحديث من أحاديث الأحكام ، وانما هو من احاديث الآداب ، ومعروف تساهل المحدثين فيها وقد وقفنا على كل ما تضمنته الكتب البلاغية من أمثلة العقد . وليس بينها مثل واحد وثق من من قريب أو بعيد ، فلا أقل من أن يكون مثلها إن لم يكن أوثق منها بكثير . فالمثل حديث نبوي شريف وعاقده صحابي وليس بين الذين عقـدوا من عاصره أو جاء بعده بقليل فضلاً عن أن يسبقه . وقـد رأينا أن عقده اكثر انطباقاً على حد العقد من غيره فقد أخذ الحديث بجملة لفظه ومعناه ولم يكن له من غرض غير نظمه وأجاد في نظمه إجادة أبكت رسول الله صلى الله عليه وسلم – والمسلمين من حوله ، وصار عبد الله بن كرز لا يمر بطائفة منهم ، إلا دعوه ، واستنشدوه ، فاذا انشدهم بكوا . وكل الذين ذكرهم البلاغيون، والمعنيون بصناعة الشعر وقواعده ، لم يكن بينهم صحابي واحد . ويمكن أن يعد الأخطل من أقدم من ذكروهم في هذا الشأن حيث قال الحاتمي : (وأبو العتاهية ، ومحمود الوراق شديدا اللهج بذلك كثيراً في اشعارهما. ولصالح بن عبد القدوس درر من ذلك ، إلا أنه لم يكثر اكثارهما) (١٠١) .

وممن تقدم هؤلاء الأخطل . عمد الى قول بعض اليونانيين :

(العشق شغل قلب فارغ) فنظمه ، فقال :

وكم قتلت أروى بلادِيّةٍ لها ... وأروى لِفُرّاغ الرجال قتولُ

فأين هذا من ذاك عقداً وعاقداً ومعقودا ؟؟

(١٠١) الحلية – ٢/٩٢ .